جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الإنسانية– قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية – البكالوريوس– المرحلة الرابعة

اسم المادة : الإعجاز القرآني

عنوان المحاضرة

الإعجاز القرآني مفهومه

أ.د عثمان فوزي علي

الإعجاز القرآني

مفهومه

الإعجاز في اللغة:

عجز: عجز الشيء يعجزه عجزاً فهو عاجز، أي :ضعيف. أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه فمعنى الإعجاز: الفوت، والسبق. فالمعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة.

والعجز في الحقيقة: وعرف ابن منظور العجز بأنه : فاعل العجز في غيره وهو الله جلّ وعلا كما أنه هو المقدر ، ومعجزةٌ للمبالغة في الخبر عن عجز الرسل إليهم عن المعارضة، كما وقعت للمبالغة بالهاء في قولهم: علامة، ونسابة، ونحوها.

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني (الإعجاز في الكلام أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق) وقال أبو البقاء (إعجاز القرآن ارتقاء في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته) وتعريف الجرجاني في نظري جيد لأنه أشمل من غيره.

ورجحنا هذا التعريف لسببين:

١. ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته .

٢. ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه ، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد ، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت .

وأما معنى إعجاز القرآن الكريم:

(إعجاز القرآن مركب إضافي، بحسب أصل اللغة : فهو لغة : بفتح الجيم وكسرها من العجز وهو عدم القدرة ، ومن عجز، إي ضعف والعجز نقيض الحزم

(وإثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير : إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به ولم ترد كلمة إعجاز في القران الكريم ولا في السنة النبوية ، وإنما ذكرت آية ومعنى وبرهان.

المعجزة القرآنية

حقيقة المعجزة :المعجزة في اللغة: اسم فاعل من الإعجاز، وهي للأنبياء خاصة وهي من عجز : والعجز : نقيض الحزم ، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا فيهما ورجل وفي الاصطلاح: قد يطول المقام بذكر تعاريف المعجزة اصطلاحاً ولكن نختار التعريف المشهور منها وهو ما عرّفه السيوطي بقوله(هو أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة وقد جرى على هذا التعريف كثير من العلماء.

لقد طالبهم القُرآن الكريم أن يأتوا بمماثل للقرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ، ومن حيث المعنى ، إن صدقوا في دعواهم ، فذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة السلام ـ في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار ، وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر ، والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ، ودواعي الأمر بذلك، فالكلام ردّ للأقوال المذكورة في حقه والقرآن بالتحدي ، فإذا تحدوا وعجزوا علم ردّ ما قالوه وصحة المدعى .

ويشهد لذلك قول الرسول محمد ((عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال ما من الْأَنْبِيَاءِ من نَبِيٍّ إلا قد أُعْطِيَ من الْآيَاتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كان الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى الله إلي فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يوم الْقِيَامَةِ)) فالمعجزة: هي خرق لنواميس الكون، يعطيها الله لرسله ليدل على منهجه وإذا استجاب الله لطلب المعجزة، أو أظهرها من غير طلب، تم أمران:

الأمر الأول: أن يجري الله على يدّ رسوله أمراً خارقاً للعادة، لا يتمكن هذا الرسول بصفته البشرية – بالغاً ما بلغت به القوة الجسمية أو الروحانية – من فعله أو القيام بمثله بحسب المعتاد المألوف في قوانين الكون وأنظمته، لولا أن الخالق العظيم أجراه على يديه، تأييداً له في أنه رسول صادق فيما ينقل عن ربه. لقد حار القوم في إجابة هذا التحدي ، كيف يأتون بكلام مثل هذا الكلام كله ؟ ربما قد حاولوا ، ولكنهم عجزوا ، وقالوا : إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ .

فتجاوز لهم عن بعض ما طولبوا به ، ولم يشأ أنْ يفلتوا بما أعذروا أنفسهم به ، فلئن كان حديثاً مفترى أعين عليه فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، وما أجداهم أنْ يستعينوا بمَنْ شاءوا ، ومَنْ استطاعوا في أنْ يأتوا بالعشر المفتريات

، فأرخى لهم إمعاناً في التحدي الساخر بقدرتهم ، فتجاوز عن العشر إلى واحدة مع العون أيضاً فقال : قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ولئن تقاصرت قدرتكم أنْ تأتوا بسورة مماثلة لسورة على التحديد فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فربما كانت مماثلته على التقريب أيسر عليكم من مماثلة على التحديد ، وهذا ما أشارت إليه آية البقرة باستخدام لفظ (مِن مِّثْلِهِ)

قد يقال : إن القوم معذورون ، وأنهم طولبوا بما لم يبرعوا فيه ، أو بما هم فيه جاهلون ؟ولكن الجواب عن ذلك يبين عظمة هذا القرآن ، وأن العرب لم يكونوا قوماً يجهلون فنون الأدب ، ولا تعوزهم البراعة في ذلك ، فضلاً عن معرفتهم بأمية النَّبِيّ الذي تحداهم بالقرآن ، لقد عرف العرب برُقِيّهم الفكري والأدبي ، ممثلاً في أسواقهم الأدبية ، يعرضون فيها أنفس بضاعتهم من الكلام ، وأغلب صناعتهم من الشعر والبيان ، يتبارون في عرضها ونقدها واختيار أحسنها ، والمفاخرة بأجودها ، كذلك لم يكن غريباً أنْ نرى القرآن ، وقد صادف هذا المستوى الفكري لدى العرب ـ أنْ يناقش ويجادل عن نفسه ، وأنْ يشتد في جداله ودفاعه ويعلو صوته حتى يصافح وجه السماء ، فما ذاك إلاَّ أنه وجد أمامه خصوماً ألداء وأعداء أشداء ، أوتوا حظاً من نضج الفكر ، وبلاغة القول ، وعزة النفس ،كذلك لم يشأ الله أنْ تكون آيته إليهم إلاَّ القرآن ، آية عقلية تناسب نضجهم الفكري ، ورتبتهم في سلم الرُّقي البشري ، وكلما ارتكسوا في حمأة اليأس من معارضته ، ونكسوا على رؤوسهم في طلب معجزة حسية أبى الله ذلك ـ وكان قادراً على أنْ ينزل عليهم آية فتظل أعناقهم لها خاضعينـ لأنهم تجاوزوا دور الطفولة البشرية ، وتخطوا مرحلة البلادة الفكرية التي اقتضت أنْ تكون معجزة البشرية في تلك المرحلة حسية .

الأمر الثاني : أن يتحدى الرسول قومه بأن يأتوا بمثل ما جاء به، إن كانوا في شكّ من صدق الشهادة الربانية له. فأن ظهر لهم عجزهم عن المعارضة، علموا بأن ذلك من فعل الله تعالى.

المعجزة ضربان : حسية ، وعقلية .

أما الحسية فهي : ما كان خرق العادة فيها مما يدرك بالحس والعيان، كأن يكون ذلك من طريق السمع أو البصر ونحوهما، وأما العقلية فهي ما كانت بمثابة خطاب لعقل الإنسان، وذلك يعني أن هذا النوع من المعجزة إنما يدرك عن طريق العقل وهو يتلقى أخباراً في الإعجاز حول قضية من القضايا التي لا تذهب بذهاب الزمان، ومما يلاحظ أن معجزات النبيين الذين سبقوا خاتمهم محمداً كان جلّها حسياً . ومن أمثلة ذلك : انفلاق البحر بعد أن يضرب بالعصا،

وانشقاق البحر لتكون في وسطه اثنا عشر طريقاً ثم إنزال المائدة من السماء على بني إسرائيل استجابة لدعاء عيسى (عليه السلام)، وفي ذلك إشارة واضحة على انحطاط في مستوى العقل والتفكير لدى هاتيك الأمم التي لا تصيخ إلا لخطاب الحسّ والمشاهدة والتي قليلاً ما تعبأ بخطاب العقل من الإعجاز الرفيع الراقي ، إما معجزة الرسول محمد فهي خير المعجزات وأعظمها، وهي كذلك أبقاها وأدومها، إنها المعجزة التي تظل مستديمة خالدة لا يأتي عليها الزمان والبلى ولا يؤثر فيها اختلاف الأحوال وتبدل الأجيال مهما امتد الدهر وطال من خلال ذلك يمكن أن نعّرف الفرق بين معجزة القرآن، وباقي المعجزات للأنبياء السابقين وذلك من خلال

(١) في القرآن الكريم إعجاز لا يتنبه إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور عنه عن حقائق الكون وأسراره.

(٢) أن للقرآن عطاء لكل جيل يختلف عن عطائه للجيل السابق.

(٣) الأحكام الخاصة بمنهج العبادة.

(٤) الأشياء المتصلة بقوانين الخلق والكون.

(٥) انه يقدم لكل نفس باستخدام الآيات والألفاظ التي تؤدي إلى المعنى، فإذا ما كشف الله للبشر عن سرّ من أسرار كونه ، جاءت الآيات لتؤدي المعنى نفسه.

وللمعجزة شروط يجب أن تتوفر فيها وهي :

(١) أن يتحقق كونها من الأمور الخارقة للمعتاد والمألوف في قوانين الكون وأنظمته الدائمة.

(٢) أن يتحدى بها الرسول من تناولتهم، دعوته وشملتهم رسالته.

(٣) أن تعجز الأمة وجميع البشر عن المعارضة بمثلها على الصورة الخارقة التي تم تحديهما بها.

(٤) أن لا يكون الأمر الخارق للعادة متضمناً تكذيب مدعي النبوة الذي جرى الأمر الخارق على يديه ، وأن الله حين بعث النبي محمد جعل معجزته القرآن، وبنى أمر نبوته عليه. فَسُوَرٌ كثيرة و آيات تدل على هذا المعنى، فمن ذلك قوله تعالى (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به، و لا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة وقوله عز وجل (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ) فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجةً إلا وهو معجزة. فلا يمكن أن يكون القرآن الكريم من صناعة الشعر،

فهم أهل ذلك الميدان لماذا لم يعارضوه إذا كان شعراً، وأن في التاريخ من حاول مثل هذه المحاولة فجاءوا في معارضة القرآن بكلام لا يشبه القرآن بل نزلوا به إلى ضرب من السخف والتفاهة بادٍ عَوارهُ، باقٍ عارهُ

ولا يمكن القول بأنه رأى من الناس من هو أعلى منه كعباً في هذه الصناعة، إذا كان كذلك فما بال القرون الأولى؟ ينبئك التاريخ أن أحداً لم يرفع رأسه أمام القرآن في عصر من عصوره، وأن بضعة النفر الذين أنفضوا رؤوسهم إليه باؤوا بالخزي والهوان، وسحب الدهر على آثارهم ذيل النسيان وأن قيل : قد علمت أنه لم يأت أحد بشيء في معارضته، ولكن ليس كل ما لم يفعله الناس يكون خارجاً عن قدرتهم، فربما ترك الإنسان فعلاً هو من جنس أفعاله الاختيارية لعدم قيام الأسباب التي من شأنها أن تبعث عليه، قلنا له : هذا الفرض لا ينطبق على موضوعنا بحال، لأن الأسباب الباعثة على المعارضة كانت موفورة متضافرة، وإن همم المعارضين بلغت حدودها، وكان أمر الرسول محمد هو شغلهم الشاغل وهمَّهم الناصب ،وإذا كان طلب المعجزات من القوم طلباً فيه تعنت أو شطط، أو رغبة في التفكه والتسلية بخوارق العادات، فإن الله جلّ وعلا لا يستجيب لطلبهم ولا يلتفت إليهم، وهو الحكيم القدير لذلك أمر الله رسوله محمداً أن يقول لهم : (سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً) .

وفي مجموع هذا الجواب رفض لتلبية مطالبهم المتعنتة، المتجاوزة حدود طلب البرهان على صدق الرسول